

دراسة المكان في الروايات العراقية المعاصرة (رواية "رمال حارة جداً" لعامر حميو أنموذجاً)

The study of place in the contemporary Iraqi novels (The novel "Very Hot Sands/Remalharrahjeddan" by Amer Hamio as a model)

محمود رضا توكلي محمدي^{1*}

لؤي عبد الكريم^{*}

تاريخ النشر: 2024/07/31	تاريخ القبول: 2024/01/13	تاريخ الإرسال: 2023/09/06
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

المكان هو الحيز أو المساحة أو الفضاء الذي تتحرك داخله شخوص الرواية والمتغير على وفق تطور الأحداث وله أهمية كبرى خاصة في الروايات التي تمت بصلة إلى النظريات الحديثة للرواية؛ تمتلك رواية "رمال حارة جداً" حضوراً فاعلاً في محيط التلقي العربي الحديث. يستهدف هذا البحث دراسة المكان في هذه الرواية لعامر حميو وهو أحد الروائيين العراقيين المعاصرين، عبر المنهج الوصفي - التحليلي محاولاً الوصول إلى كيفية توظيف المكان في الرواية. استطاع حميو استعمال المكان بمهارة عالية وتقنية مرنة في الرواية وكشفت التعددية المكانية عن مضامينها المتنوعة الاجتماعية والسياسية والثقافية، حيث رسمت مشهداً سردياً لواقع مضموني جديد يتلائم مع الفهم الجديد للإنسان ومساراته المتنوعة. ساهمت الاشتغالات الياحائية في الرواية ببناء انساق جديدة بدلالاتها المختلفة التي هيمنت فاعليتها المكانية في السرد الروائي.

الكلمات المفتاحية: الرواية العراقية ، المكان ، عامر حميو ، رمال حارة جداً.

Abstract:

The place is the area or the space within which the characters of the novel move and the variable according to the development of

1. عضو الهيئة العلمية بجامعة فرهنگيان، قسم تعليم اللغة العربية وآدابها، طهران، إيران. صندوق البريد: ١٤٦٦٥-

٨٨٩ البريد الإلكتروني: mr.tavakoli@cfu.ac.ir

* طالب الماجستير بجامعة أديان، طهران، إيران. البريد الإلكتروني: alnblwry@gmail.com

events, and it has great importance, especially in the novels that are related to the modern theories of the novel; The novel "Very Hot Sands / Remalharrajeddan" has an active presence in the context of modern Arab reception. This research aims to study the place in the novel Very Hot Sands by AmerHamio, one of the contemporary Iraqi novelists, through the descriptive-analytical approach, trying to reach how the place is employed in the novel. Hamio was able to use the place with high skill and a flexible technique in the novel. Spatial pluralism revealed its various social, political and cultural contents, as it drew a narrative scene of a new content reality that is compatible with the new understanding of man and his various paths. The suggestive preoccupations in the novel "Very Hot Sands" contributed to the construction of new patterns with their different connotations, whose spatial effectiveness dominated the narrative.

Key words: the Iraqi novel, the place, AmerHamio, Remalharrajeddan.

المؤلف المرسل: محمود رضا توكلي محمدي
mr.tavakoli@cfu.ac.ir

١ - مقدمة:

إن للأدب فنوناً كثيرةً وأجناساً أدبيةً متعدّدة ومن هذه الفنون نجد ذلك الجنس الأدبي الذي يسمّى الرواية والتي تعدّ شكلاً من أشكال التعبير الإنساني عن الحياة الاجتماعية، وقد أثبتت وجودها في الساحة الثقافية العالمية والعربية بالخصوص، بما تتوفّر على مرونة وقدرة عالية على مجريات تحويل الواقع والخيال الفني، وبما يتميز به من تماسك شديد بين العناصر المكوّنة لها، كما أنّها في الأساس فنّ مكانيّ وزمانيّ؛ وهذين العنصرين لا يمكن الفصل بينهما بما تحمّلان من دلالة قويّة في تشكيل النسيج العام للنتاج الروائي ويمثّلان العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل الروائي ببعضها البعض من شخصيات وأحداث وسرد وحوار ولكون المكان والزمان المحوران الأساسيان في استشراف الأبعاد الجماليّة والإيحائيّة في كلّ تشكيل عمل سردي، فقد يرجع سبب اختيار موضوع البحث الموسوم "بدلالة المكانيّة رواية "رمال حارة جداً" للروائي العراقي عامر حميو إلى

الرغبة الملحة في تقديم دراسة تركز على تحديد مفهوم المكان وتبسيط الأضواء على أهميته كعنصر مكون للسردية في الرواية والكشف عن دلالة المكان في الرواية.

١-١ بيان المسألة:

المكان هو أحد العناصر المكونة للقصة وعلى الرغم من أن التحقيق في هذا العنصر يقع في نطاق القصص المعاصرة، يمكن رؤية مظاهره أيضاً في القصص القديمة؛ على سبيل المثال الأماكن المجردة المتعلقة بعالم الآخرة والأحداث التي تدور في القصة القديمة لأرداويراف نامه (وهي قصة معراج عالم رباني باسم ويراف يرجع إلى أواخر العهد الساساني في إيران) لأحداث أرض الهند في مقدمة كليله ودمنة والأماكن المجردة والخيالية في الأدب الصوفي "مثل منطق الطير" يشير إلى أن عنصر المكان موجود دائماً في القصص الشرقية التي ينظر إليها رواة القصص؛ ولكن فيما يتعلق بعنصر المكان في القصة الحديثة لا بد من القول بأن أهميته الكبرى ليس فقط لأنه يشكل أحد العناصر الفنية للقصة أو تتدفق أحداث القصة فيها وتتحرك الشخصيات الخيالية في شكلها فإن السبب الرئيسي لأهمية هذا العامل هو أنه في بعض الأعمال الروائية البارزة، يصبح المكان "مساحة" تحتوي على جميع عناصر القصة، بما في ذلك الأحداث والشخصيات والعلاقات فيما بينها، فهي تساعد في تشكيل بنية القصة. يشير حسن بحراوي إلى المكان قائلاً: «أن هذا المكان ليس عنصراً زائداً عن الحاجة في القصة، ولكنه يحتوي على العديد من الأشكال والموضوعات، والتي قد تكون أحياناً الهدف النهائي للعمل الروائي لنفس الأشكال والموضوعات.»^(١) المكان يحمل مواقف البطل ويعبر عن آراء الراوي، وبالتالي يمكن القول بأن المكان ليس أحد عناصر القصة إلى جانب عناصرها الأخرى، بل شكل عام تتواجد فيه العناصر الأخرى.

١-٢ الهدف:

يهدف هذا البحث دراسة المكان في رواية "رمال حارة جداً" لعامر حميو؛ إذ يقوم بتحديد علاقة المكان بغيره من عناصر السرد الأخرى وعلاقته بالشخصيات، والأحداث، واللغة، إضافةً إلى كشف تأثير المكان في العمل الروائي ودراسة أنواع المكان من المغلق والمفتوح في الرواية وكيفية توظيفه من قبل الكاتب في الرواية.

١-٣ أسئلة البحث:

١. كيف وظف عامر حميو المكان في رواية "رمال حارة جداً"؟
٢. ما هي تجليات المكان في رواية "رمال حارة جداً" لعامر حميو؟

١-٤ فرضيات البحث:

١. يبدو أن حميو حاول أن يستفيد من المكان كعنصر أصلي في توصيل المعنى المطلوب إلى القارئ.

٢. من المحتمل مشاهدة توظيف المكان بصورتيه المغلق والمفتوح في الرواية.

١-٥ الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات تطرقت إلى موضوع المكان بين طياتها ومنها:

-آلية الاشتغال السردية في رواية (حبة خردل) للروائي عامر حميو مقارنة نقدية، للباحث طالب عمران العمور، 2018م. لقد كتب الباحث هذه الدراسة في تسعة وعشرين فصلاً، إذ استطاع من خلال بحثه أن يوظف الزمان والمكان بشكل متقن. -قلق الانتماء وعقدة الماضي في رواية الأنتيكة للروائي عامر حميو، الصادرة عن دار ليندا للطباعة والنشر والتوزيع سوريا سنة 2020 م بطبعها الأولى. وجد الباحث من خلال بحثه عن هذه الرواية أنّ الكاتب ركز على كيفية بناء الشخصية التي لها ذاكرة مُتخمة بالأحداث والوقائع.

- المكان في رواية تحسين كرمياني (2016م)، جامعة آل البيت، كلية الآداب، قسم اللغة العربية. تتناول هذه الدراسة المكان في حكايات الكاتب العراقي تحسين كرمياني (الحزن الوسيم، وحكايتي مع رأس مقطوع، وزقنموت) لتحليل المكان فيها، والكشف عن مفهومه وأبعاده.

-المكان في رواية غالب هلسا، بقلم سحر ريسان، المشرف: عبد الستار عبدالله، جامعة الموصل، كلية التربية، قسم اللغة العربية.

-رسالة "المكان في الرواية العربية - أعمال الطيب صالح نموذجاً" للطالبة مريم اكبرى، جامعة أصفهان، كلية اللغات الأجنبية، 1434هـ.ق؛ وصلت الكاتبة إلى أنه اهتم الطيب صالح في رواياته الأربعة، بتجسيد المكان في مساحاته المتغيرة من غرفة ضيقة حتى قطبي العالم الغرب والشرق.

- مقال تجليات تصويف المكان في رواية «جبل قاف» لعبد الإله بن عرفة على ضوء آراء محيي الدين بن عربي" للدكتور جمال طالبي، جامعة فرهنكيان؛ وصل الكاتب الى أن المكان الصوفي بوصفه إحدى مكونات السرد يضيف مسحة قدسية على النصّ الروائي من

خلال علاقته بالأفكار الصوفية ودوره في الثراء الدلالي والجمالي له، فلذلك يتجاوز المكان في الرواية الصوفية عن وصف الأبعاد الهندسية ليصبح أيقونة لدلالات معرفية صوفية.

- رسالة "المكان في روايه خاتم لرجاء عالم" للباحثة ساره عدنان؛ استخدمت الكاتبة في روايتها أمكنة متعددة ومختلفة أغلبها من المفتوح والمغلق الخاص والعام. ولكن وعلى كل حال ورغم التتبع في المصادر المختلفة عبر النت والمواقع البحثية ما حصل الكاتب على دراسة تدرس موضع هذا البحث وهذا الأمر هو سبب بدء البحث في الدراسة هذه.

2. الرواية المعاصرة والمكان

٢-١ المكان:

يُعد المكان عنصراً مهماً في العمل الروائي، فقد لعب دوراً بارزاً في النقد الأدبي الحديث خاصة، فهو يُعد من الأركان الأساسية التي يُبنى عليها العمل السردى، «بل ضمه في الرواية يعد عاملاً مساعداً لتحديد رؤية الكاتب، وإجلاء أبعادها وتحديد معالم الخطوط الدرامية للعمل كله، وتحديد صراع الشخص مع واقعها ومع ذاتها في الوقت نفسه»^(٢) والمكان في لسان العرب جاء تحت معنيين، أولهما أنه من مادة (كون)، بمعنى: الموضع، والجمع أمكنة وأماكن توهموها بالميم أصلاً حتى قالوا تمكن في المكان^(٣)، وثانيها جاءت من مادة (مكن) فقال «والمكان: الموضع، والجمع، أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان، فعلاً، لأن العرب تقول: كن مكانك وقم مكانك واقعد مكانك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه»^(٤)

كما جاء في معجم تاج العروس للزبيدي: "المكان هو الموضع المحاذي للشيء"^(٥) فهو الحيز أو المساحة أو الفضاء الذي تتحرك داخله شخوص الرواية والمتغير على وفق تطور الأحداث. والدلالة اللغوية في المعاجم العربية تشير إلى أن المكان هو: الموضع، وتعني التوسع المكاني، وتطلق على وكنات الطير والمنازل ونحوها^(٦) وأيضاً تعني الاستقرار والوجود والثبات في مكان ما وجمعها أمكنة وأماكن^(٧)، وبالتالي، فإن المعنى هنا يتفق مع الدلالة المبتغاة، فلا بأس من إطلاق تسمية المكان عليها. فعندما يذكر المكان فهو: موضع العيش والإقامة، وموضع السفر والهجرة، وهو الحيز الذي يحوي الإنسان وأنشطته، ويتسع ليشمل الأرض بما عليها. وبعبارة أخرى، فالمكان «مجرد وسيلة لغوية تستعمل للتعبير عن هذه العلاقات وهم يرون أن العلاقات المكانية بين الأجسام لا تحتاج إلى وجود شيء ملموس قائم بذاته اسمه المكان إلا بقدر ما تحتاج العلاقة بين مواطني بلد ما شيئاً ملموساً

اسمه المواطنة".⁽⁸⁾ وهذا يعني أن المكان مجرد اصطلاح يدل على وجود مثل: بشر، بيوت، مصالح، تشابكات، تعاركات، ومن وراء ذلك هناك أفكار ومشاعر وأحاسيس ورؤى تتوالد، وهذا ما يترسخ في أعماق الأديب، لتماماً وجدانه، فإن مفهوم المكان في الأدب لا يفهم من خلال الوصف المادي فحسب، وإنما في العلاقة الجدلية التي بين الإنسان/البطل/الأديب والمكان، وفي العلاقة الدافئة أو الحادة، التي تستشعرها الذات الأدبية في علاقتها بالمكان، وهذا ما سيتم تفصيله بعدئذ.

يكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة، لا لأنه أحد عناصرها الفنية، أو لأنه المكان الذي تجرى فيه الحوادث، وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوى كل العناصر الروائية، بما فيها من حوادث وشخصيات، وما بينها من علاقات. ثمة افتراق كبير بين المكان في الواقع والمكان في الرواية «إن المكان الروائي متخيل تصنعه اللغة حتى يقوم في خيال المتلقي. المكان عندما يدخل في عالم الرواية يصبح دالاً يدل على مدلول ايدئولوجي أو سايكولوجي نستطيع أن نستفيد من دراسته في تحليل الرواية. ثم إن المكان يشمل ما فيه من الأشياء والألوان والأصوات والروائح وهذه الأجزاء تدلّ على أحاسيس الشخصية وأفكارها.»⁽⁹⁾ وللمكان دور مهم في العمل الأدبي فهو «مسرح الأحداث والحواجز التي تصنعها الذاكرة التاريخية»⁽¹⁰⁾ كما اعتبر المكان «أحدى الوحدات الأساسية الفعالة في تحقيق العمل الأدبي والفني ولم يتجاوزها الأدب في العصر الحديث بل أصبحت ركيزة من ركائز الرؤية وجمالياتها في النظرية الأدبية الحديثة».⁽¹¹⁾ ظهر المكان في الرواية العربية بأشكال مختلفة وأوجه متعددة منها: «أولاً: الشكل الموضوعاتي وفيه يتم التعامل النصي مع المكان في وصفه مكاناً قائماً بذاته ليس بالمعنى الفيزيائي والجغرافي فحسب بل بالمعنى الاجتماعي والنفسي والجمالي أيضاً. ثانياً: شكل الفضاء النصي: حيث يتداخل المكان مع الرؤيا الشعرية وهو ما يجعله مرغوباً فيه لذاته وكأنه المثل الأعلى الذي يسعى النص إلى إنجازه تماماً. ثالثاً شكل الاطار الشعري الذي يبدو فيها المكان خلفية أو اطاراً لحركة النص الانفعالية واللغوية والصورية والرؤيوية. رابعاً: الشكل الصوري وفيه يظهر المكان في الصورة الفنية بوصفه عنصراً مؤسساً ومكملاً في النص الشعري وهذا الشكل من أكثر الاشكال شيوعاً بحيث لا يكاد يخلو منه نص. خامساً: الشكل الرمزي وفيه يتحول المكان الى رمز في حمل طاقة انفعالية

او تعبيرية أو تقويمية محددة أو مفتوحة. سادساً: الشكل الحيادي وهو الشكل الذي يظهر به المكان من دون أن يكون مقصوداً لذاته. (12)

2-2 حياة عامر حميو وأعماله الأدبية

السيرة الذاتية لعامر حميو على لسانه: ولدتُ في قرية حُرمت فيها من أن أمارس أحلام الطفولة ولعبها، وعندما سُجلت في المدرسة وتعلمت القراءة والكتابة في بداية السبعينيات، وجدت أمامي مكتبة زاخرة بكافة العلوم: علم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة، والاقتصاد، وفيها كم وافر من الرواية ومجاميع القصص القصيرة والشعر، فكانت كتب هذه المكتبة خير تعويض للطفل عمّا حُرِم منه، وعلى ما أذكر فإنني في الصف الرابع الابتدائي ولد عندني حلم أن أكون كاتباً قصصياً وروائياً، ومن يومها رحت أقرأ الكتاب دارساً قبل أن أقرأه مستمتعاً. وباعتقاد متواضع أستطيع أن اجزم أن الإصرار والدراسة هما من أولويات صناعة المبدع. (13)

أعمال عامر حميو الأدبية

- طبعت له رواية (بهار) بطبعتين، عام 2016م، عن دار ليندا للطباعة والنشر، سوريا.

- رواية (رمال حارة جداً)، 2017م، دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، العراق.

- رواية (سُلَّم بازو)، 2018م، دار كلكاش للطباعة والنشر والتوزيع، العراق.

- رواية (حبّة خردل) منجزة، لم تطبع بعد.

- رواية (الأنثيكة) منجزة، لم تطبع بعد.

- مسرحية (جحر الفئران) نشرت في مجلة الثقافة الجديدة، عدد أيار 2016م.

- أكثر من عشر قصص قصيرة منشورة في مجلة (الشرارة) ومجلة (السنبله) منذ العام 2015م ولحد الآن. (المصدر السابق)

٣-٢ ملخص رواية "رمال حارة جداً"

رواية "رمال حارة جداً" قصة جندي عراقي يُزج عنوة في حرب الخليج الثانية، فيكون شاهد عيان رافضاً لما يرصده على ما يجري من انتهاك لحقوق الإنسان في الكويت، يمازجه مع ما تلاقيه قصة حبه لابنة شيخ العشيرة الرافض لقصة حب ابنته والجندي، وما يتمخض عن الفعلين من حالة صراع داخلي يعيشها البطل تودي به لاتخاذ قرار جريء

يتحمل به نتائج. (نفس المصدر) تدور أحداث الرواية إبان غزو الكويت عام 1990م، وجاءت على شكل مقاطع معلمة بعناوين تنقل وصف أحداث معينة جرت هناك على أرض الكويت حيث رمال والصحراء، أحداث تدور بين قطعات عسكرية أبطالها جنود عاشوا أوقاتاً عصيبة جداً وهم يواجهون خطراً مجهولاً وترقب حذر مع حرمان لأبسط الاحتياجات التي يجب أن تتوفر لجندي متأهب لحرب طاحنة وغير متكافئة وهو يواجه جيوش جرارة بتقنيات متطورة وسيطرة جوية محكمة. تميزت الرواية بلغة سهلة ممتعة، ذات وصف دقيق للأحداث وكأن الراوي قد خبرها أو أنها بدت كتجربة شخصية لجندي كان قريباً من بؤرة الحدث، من بدايات الغزو وانتهاءً بالمعركة الكبيرة التي انسحب إثرها الجيش العراقي منكسراً. خلّت الرواية من الأسماء، فلم يوجد فيها أسماء علم مذكر أو مؤنث، بل كانت هناك شخصيات حيوية لها ذكريات معينة وتأثيرها في سير سرد الأحداث واضحاً، والأمر الجيد في ذلك أنه لم يخل من جوهر الرواية، وهذا يحسب للروائي كنقطة إيجابية. الرواية بشكل عام جاذبة وغير معقدة، بالرغم من وجود مفردات عالية تنم عن سعة ثقافة كاتبها والمأهولة باللغة العربية وتوظيفها روائياً.

3. المكان في رواية رمال حارة جداً

يعتبر المكان عنصراً من العناصر الأساسية في أي عمل فني نثراً أم شعراً فلا يمكن الإغفال عنه لأهميته ودوره الفعال في تشكيل النص الأدبي فهو يعبر عن خلجات النفس والعاطفة والحالة الاجتماعية التي يتجلى بها الأديب. إن ذكر المكان في النص الأدبي له دلالاته المتعددة، يقول باشلر في أهمية العلاقة المكانية: «المكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة ومكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المحور»⁽¹⁴⁾ و«المكان قرين الحياة الأساسي بل مادتها، فهو الذي يقع عليه قرين الفعل ويتحتم والفعل صانع الذات وصانع الحياة»⁽¹⁵⁾ وأن العمل الأدبي يفقد قيمته إذا لم يرتبط بالمكان لانه بمثابة العمود الفقري لجميع الأعمال الأدبية من القصة والشعر ورواية وغيرها ولأن المكان يعطي الانطباع أن النص حقيقي»⁽¹⁶⁾ وكما أن «الأدب لا يهتم بالمكان من الناحية الجغرافية وإنما يتناوله بالدراسة والتحليل لكونه عنصراً أساسياً في التجربة الإبداعية وله دور في تشكيل وجدان الإنسان وتكوين الجانب النفسي لديه»⁽¹⁷⁾ و«المكان مكون لغوي تخيلي تصنعه اللغة الأدبية من الفاظ لامن موجودات وصور»⁽¹⁸⁾ كذلك يعد

المكان عند النصير: «هو جزء من كيان عضوي كلي يخضع لمطلقات القصيدة الكلية ولبنيتها». (19) أرتكزت محاور هذا البحث على أشكال المكان وأنماطه في رواية رمال حارة جدًا كما استخدمت الأفكار التي وردت حول انماط المكان وثنائياته وطرق اشتغاله كأداة للاستغال والتحليل وصولاً الى معرفة دقيقة بالدور الذي يلعبه المكان كاشفةً عن أبرز الدلالات التي يمكن أن تستنطقها من المكان في رواية رمال حارة جدًا.

٣-١ أمكنة إقامة:

هي اماكن يقوم الانسان باختيارها مثل البيت، وفي المقابل هناك أمكنة إجبارية ينج الإنسان فيها بقوة كالسجن. الأمكنة الآتية هي من أمكنة الإقامة التي جاء ذكرها في رواية رمال حارة جدًا على لسان البطل عندما كان يشارك مع الجيش العراقي لاحتلال الكويت حيث كلّمها ذكرها استمتع بذكرها:

البيت: هو المكان الذي يتوحد فيه الإنساني والأنا بالآخر، ويمثل فضاءً مغلقاً، حيث تصبح فيها الشخصية منطوية على ذواتها، وتختلي بنفسها، تتطلع دائماً إلى منفذ يريحها ويبعدها عن هاجس الشتات والضياغ، ودون شك ذلك الفضاء الأليف هو البيت بجميع دلالاته الرمزية والإيحائية. يعد البيت من أبرز الأماكن المغلقة ذات التأثير البالغ إذ تشكل بينها وبين ساكنيها نوعاً من الألفة والأنس، كيف لا وقد صنعها الإنسان بنفسه ولنفسه وبأشكال هندسية مختلفة تلائم ظروفه فالبيت هو المتنفس الوحيد الذي يرتاح المرء إليه بعيداً عن العالم الخارجي لأن البيوت هي ركننا في العالم الخارجي ولقد أفصح باشلار " أن البيت هو واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام الإنسانية، ومبدأ هذا الدمج وأساسه هما أحلام اليقظة، ويمنح الماضي والحاضر والمستقبل البيت ديناميات مختلفة كثيراً ما تتداخل، أوتتعارض وفي أحيان تنشط بعضها بعضاً، في حياة الإنسان ينحى البيت عوامل المفاجأة ويخلق استمرارية ولهذا فبدون البيت يصبح الإنسان كائناً مفتتاً، انه البيت يحفظه عبر عواصف السماء وأهوال الأرض " . (20) يشير عامر حميو في روايته إلى دلالات مكانية تختص بالبيت بصورة مكثفة: إحدى المقاطع التي ورد فيها ذكر البيت هو مقطع «سرير النوم» قائلا:

«سمع جندي خارج الغرفة مباركة الضابط للجندي الذي سيتزوج، فصاح أمراً أحدهم كان يقف في باب الدار من الخارج:- ارم لأجل العريس... فانسلّ من الغرفة بعد أن لاحت منه نظرة على سرير النوم وأحسّ كأنه وجه العروس تضحك ليلة عرسها، وفي ركن

قصي من البيت انخسفت فيه الذاكرة ليوم كان فيه يتمشى معها بين أروقة الكلية، وراقب كيف كانت ساهية عنه، كأن في بالها شيئاً يشغلها»⁽²¹⁾

في النص المذكور نشاهد وصفاً لأحد البيوت في الكويت حيث دخله الجنود العراقيين بهدف الاحتلال واغتصاب محتوياته فيدور هناك كلام بين الجنود حول زواج أحد الجنود وهو الذي كان يحلم دائماً بالزواج، ومن الدلالات المكانية في النص المذكور نستطيع أن نشير إلى مراسيم الرمي أمام بيت العريس في ليلة الزواج إذ أحدهم خاطب الآخر قائلاً له قم بالرمي لأجل زواج أختينا وهي إشارة إلى العادات والتقاليد القديمة التي كانت تفتخر بها بعض القبائل وتعدّها فخراً وعظمة لنفسها. في مقطع آخر من رواية «رمال حارة جداً» أي «الحمام» نرى لوحة فنية من الكاتب عامر حميو واصفاً البيت:

«...واستحثه أحد الضباط أن يشارك الجنود إخراج محتويات الدار، فاضطر للدخول معهم لكنه انتحى زاوية في البيت وراح يقلب ألبوم صور بانت فيه صورة لرجل يقف قرب طارق عزيز وزير خارجية العراق، لكنه انتهى من تقليب كل صور الألبوم سريعاً، وأصبح موقفه محرجاً بين أن يمد يده ويأخذ شيئاً، أو أن يُوجد حجة يتغيب فيها حتى ينتهي البقية من (غزوتهم) كما كانوا يدعونها»⁽²²⁾

في النص المذكور جاء وصف لبيت من بيوت الكويت حيث اعتدت عليه القوات العراقية ويشارك الجنود بعضهم البعض في استخراج محتويات غرف البيت؛ لكن الضابط اشتغل بتقليب صور الألبوم فوجد صورة تبدو أنها لصاحب البيت واقفاً جنب طارق عزيز وزير خارجية العراق فعند مشاهدة تلك الصورة أصبح متذبذباً في مواصلة عمل استخراج البضائع من البيت المذكور لأنه هناك أحس بنفسه أنه ألغوبة بين أيدي السياسيين وأناس جميعهم ضحايا لتلك السياسيين.

يرسم الراوي في مقطع «غرفة الأخشاب» إحدى البيوت التي هجمت عليها قوات الاحتلال بهدف القبض على المجاهدين حيث استطاع أن يرسم صورة واضحة من عنفهم وعدوانهم وبغيمهم على مواطني المدينة.

«بقيت القطة تنبش غير ملتفتة للأجسام البشرية التي راحت تتقاذف من حوض السيارة العسكرية، وتدفع باباً بدا بناء الدار خلفه حديثاً، ولون شرفاته يلمع مغرباً لهم أن في داخله أشياء قد تفيدهم. توقف جندي عند الباب الخارجي لردهة البيت الداخلية،

وتدافعت أكتاف الجنود الآخرين تتزاحم على فتحة مدخل البيت، يتقدمهم ضابط برتبة نقيب، ورددت جدران البيت أصداً ضحكاتهم من داخله، فبدوا للجندي الواقف عند الباب كأنهم وجدوا أشياء أفرحتهم، فأحنى الجندي جذعه جانباً ومد رأسه يتلصص لداخل البيت، علّه يعرف أسباب ضحكهم»²³⁾

نشاهد صورة واضحة لاحتلال الكويت من قبل العراق حيث اعتدى عليها وتجاوز على حدودها ومدنها واعتقل كثير من جنودها وقائديها ونهب أموالها وجميع ثرواتها بأنه يدل على فترة عصبية في حياة الرائي وعلى كثرة الهموم والمشكلات كما أنه دليل على ضيق الحال والضغط النفسية والصعاب والأزمات والمشكلات التي يمر بها الرائي في حياته، بينما تدل الأماكن الواسعة على الراحة والاطمئنان. فيدل البيت في الرواية على المكان الذي ترتبط به كل الحالات الاجتماعية.

الغرفة: الغرفة تعتبر من الأمكنة المغلقة، وهي الحيز في المكان أو المبنى التي يلجأ إليها الإنسان لشت أغراض خصوصيته. بقول ياسين النصير "هي بقع فوق الأرض تحجب النور وتصنعه، لباحثها الصغيرة إمكانية تعويضية عن الفضاء السمع الأقل المتجدد، واستطاع الإنسان بخبرته وحاجاته، وتعدد أزمته وتعاقبها أن يوطن نفسه السكن فيها والسكن فيه⁽²⁴⁾ قد جاء ذكر الغرفة كمكان إقامة مرّات عديدة في رواية «رمال حارة جداً» وفي مقطع «أعلاف خيول المراهنة» قد تردّد ذكر الغرفة كثيراً نشير في ما يلي إلى بعضها: «وفي عمق فضاء الإسطبل كانت هناك غرفة كُتِبَ على جدارها (الأعلاف)، بان من بابها الموارب بضعة براميل مرصوفة جنب بعضها بانتظام، جذبته إليها كلمة (أعلاف / تمور) خطت بفرشاة عريضة على جانب كل برميل منها، فاستيقظ الجوع صائحاً داخله كأنه عواء ذئب لاحت الشاة قريبة منه ويريد أن يطوع جفلتها، لتستكين خائفة ذليلة له»⁽²⁵⁾ الشّبه الكاتب الجندي الجائع بذئب يبحث عن فريسة يفترسها حيث لاحت له شاة في قرية قد سيطر عليها الخوف لكي يرسم صورة ملموسة من أوضاع الحرب الدائرة بين العراق والكويت وما خلّفت من آثار وما تركت من دمار لتجعل المتلقى مشمئزاً من الحروب وآثارها الخربة. في استمرار النص السابق وفي توصيف الغرفة استعان الكاتب عامر حميو ببعض العناصر الطبيعيّة كالنخلة وأجزائها حيث عبّر عن حضارة مجتمعه وما لفّ ملفها قائلاً: «دخل غرفة الأعلاف وتعباً منخريه برائحة التمر، لكن جذع نخلة دار أهله امتدّ سامقاً يفرش ظله على الباحة، وخشخش سعفها يحتك ببعضه، ورجفت الأعذاق بفعل الريح، فتساقط الرطب مائعاً

يلتصق ببلاطات الباحة، وغبار خفيف يغطي قشرته، فيما ظهر ما تحت القشر من بين ما تشقق منه، أحمر فيه خيط صفار يُسَيِّلُهُ مثل الدبس على جانبيها»⁽²⁶⁾ في النص يرسم الكاتب صورة تراثية تحمل دلالات معنائية كثيرة مستعينا بلفظ النخلة وصورتها حيث تحمل اعذاق التمر التي ترتجف إثر هبوب الرياح إذ تتساقط التمرور واحدة تلوى الأخرى وعندما تسقط على الأرض يغطي قشرتها غبار خفيف.

في مقطع «سرير النوم» أيضاً قد جاء ذكر الغرفة حيث رسم الكاتب عامر حميو كيفية ورود الجنود في أحد البيوت والحوار الذي حدث بينهم قائلاً: «صرخ الجندي يقول: محياه، بعد أن لاحظ ضابطاً يقف خلفه، ويحاول أن يشق الصف ليدخل غرفة العروس ويتأملها جيداً، فيما خبت علامات السرور على وجه الجندي الذي عزم الجنود على حفلة عرسه، وهو يدقق في دهشة عيون ضابط تراقب أخشاب الغرفة، وتبهاً له في المُحْتَفَل رغبة لأن يصمت كل صوت يمتدح جودة صناعتها، أو يخبر عن منشأ صناعتها خوفاً من أن تلفت انتباه الضابط أكثر فيستأثر بها لنفسه.»⁽²⁷⁾

في النص أعلاه نشاهد حواراً قد دار بين الجنود العراقيين الذين قد نزلوا في أحد بيوت الكويت بهدف نهب ثرواتها وبضائها ومحتوياتها حيث أحدهم أخذ يكلم سائر زملائه عن يوم عرس وكيفيته ودعوته من الأحباب والأصدقاء والأقرباء بمجرد أن رأى غرفة العريس في ركن من أركان البيت وفيه إشارة على أنّ كثيراً من الجنود كانوا غير متزوجين فالحرب والطموح السياسية لدى بعض السياسيين جعلتهم يبتعدون عن آمالهم ويجازفون بأنفسهم حيث يواجهون أخطار كثيرة تهدد حياتهم. في نفس المقطع «سرير النوم» تزعل الفتاة من عشيقها؛ لأنّه خالفها لقبولها دعوة المشاركة في حفلة التخرج التي قرّر أن سيتم عقدها بعد أيام قليلة في الجامعة؛ لهذا أصابها الحزن والكآبة فخيّل لها أنّ عشيقها إنسان صاحب غيرة كثيرة تكاد أن تخنقها لكنّ بعد أن هيأاً عشيقها فرصة جيّدة للاحتفال في كلية غير كليتهما في الجامعة نفسها مع زملاء وزميلات مميّزين في جو رومانسي زادها فرحاً وأملاً وعندما عبّرت عن سبب صمتها طوال الأيام الماضية «ضحك ملء شذقيه بصوت عال وفيه رغبة لأن يحضنها ويلتف دائراً بجسمها، لكنه عدل عن فكرته وقال: صدقيني ما منعك إلا لرغبتني أن نأخذ صورة تخرجك سوية.. ثم... تلك صورة ستبقى عندي ولن تريها إلا معلقة في غرفتنا سوية... هكذا...»⁽²⁸⁾

في النص المذكور يصور الكاتب أحلام الشاب والفتاة حيث يحلمان بغرفتهما حيث يتوسطها صورة من زمن تخرّجهما من الكلية ليكون أكبر شاهد على سنين قد مضت وهما لا يفترقان بعضهما عن البعض إذ استطاعا أن يعبرا من تلك الموانع ويشكلان أسرة دافئة. بعد إنتهاء حفلة التخرج وتحديثهما عن الأحداث الماضية ورفع الكدورة التي رفعت بسبب الفرح التي قد هيأها لها عشيقها تكلمّا عن أحلامها وأوّل شيء ذكره هي الغرفة وسرير نومها حيث أشار إليه الشاب بيده قائلاً: «سرير نومنا نضعه هنا... كأنه فم يضحك فرحاً ليقبلنا... أو هو مثل حُسن يفتح ذراعيه ليحتويننا... وصوره تخرجك هناك على الحائط أماننا ليلاً ونهاراً وعندما دفعته موجة الجنود التي هرعت لتشهد تلك الغرفة، أحس كأن سرير النوم يضحك في غرفة العروسين، فاتحاً ذراعيه بانتظار عودتهما ليحتضنهما سوية، مثلما رسم لها ذلك اليوم كيف أنّ سرير النوم في غرفتهما سيضحك ليحتضنهما سوية» (29)

في النص أصبحت الغرفة مكاناً محبباً عندهما حيث يرويان أحلامهما في هذه الغرفة بفرح وسرور وينتظران المستقبل المنير لكي يحتضنانه ويواصلان حياتهما الزوجية معاً. يكشف لنا هذا المقطع السردى أن دلالة هذا المكان تكمن على الانزواء بعيد عن الناس سواء للنوم أو الحرية المطلقة للإنسان داخل غرفته لكن هذه الرواية على انزواء السارد في غرفته ومقابلة هديتها المتمثلة في المزهريّة التي تحتوي على أشجار الحب للنظر فيها للتخمام والتفكير طوال الليل فيعشيقته.

٣-٢ أمكنة الانتقال

هي إمّا أمكنة عامة كالشوارع والأحياء والمدن وإمّا خاصة كالمقاهي. (30) الأمكنة الآتية هي من الأمكنة التي جاء ذكرها في رواية رمال حارة جداً كأمكنة انتقال لتوصيف أجواء القصة:

الحي: نرى في مقطع «غرفة الأخشاب» ذكر الحي والشارع معاً حيث جاء في بداية هذا المقطع وصف عن الحي وما يدور فيه من ضوضاء وهمجيّة من قبل قوّة الاحتلال:

«بدا الحي السكني الذي تلفه السكينة صامتاً، وليشاهد على امتداد البصر في الشارع الذي لا يتوسطه غير أكياس النايلون تلعب فيها الريح وتطيرها ذات الشمال مرة وأخرى ذات الجنوب» (31) في هذا النص يرسم الكاتب صورة موحشة من الحي بجميع

شوارعه حيث أصبح خالياً من الناس فلا يترجّل هناك إلا قوَّات الاحتلال الذين اعتدوا على المنازل والبيوت ودمّروا الأحياء والمناطق.

الشارع: في مقطع «شرفات عالية» يرسم الروائي عامر حميو من الشارع صورة مخيفة يهابه السامع عندما يسمع أوصافه قائلاً: «أُزيحت الستائر جانباً وخرج المقيمون بحذر متكئين على أسيجة الشرفات للعمارات العالية، واشترأت رؤوس القصار منهم تراقب، متذبذبة بين أعين الطوال منهم وبين أسطح البنايات حولهم، عليهم يستشفون ما يجري في أسفل العمارات، وعمت السكينة خلف زجاج النوافذ في بنك الكويت المركزي، فيما اسودَّ فضاء الشوارع المحصورة بين البنايات بدخان الدبابات، وصوت محرركاتها الذي يعلو كلما تقدمت داخل الشوارع العريضة باتجاه وسط الكويت العاصمة.»⁽³²⁾

يرسم الكاتب في هذا النص صورة مخيفة من الطغاة الذين انتهكوا حقوق المواطنين حيث احتلوا العاصمة تماماً لا يسمحون بالخروج لأحد ولا يسمع من الشوارع إلا صوت قائد الحرب وأدواتهم الحربية. لم يكن النص السابق هو النص الوحيد الذي قد عبّر عن وخامة الأوضاع في الشوارع فحسب بل هناك توصيفات أخرى قد جاءت في نفس المقطع تحكى عن الفوضى والهمجية المسيطرة على الشوارع في العراق أثناء حربها مع الكويت قائلاً: «كانت حركة المرور تبدو غير منتظمة وسط إشارات تعمل بانتظام، دون أثر يذكر لشرطة المرور عند تقاطعات الشوارع، وغدا وجود تلك الإشارات غير متوافق مع حركة العربات والآليات العسكرية التي لا يقيم سائقوها وزناً لخط السير واتجاهه، وصَبَّغَ لونها إسفلت الطرقات بلون مثل لون رمال مدرعات وعربات تجر مدافعها خلفها متثاقلة، وسط دهشة عيون راكبيها ودورانها على الجانبين، كتائه يبحث عن ملاذ له، وبان أثر سرفات الدبابات واضحاً خلفها، بخطوط مستقيمة حفرت على سواد الشوارع بفعل الآليات التي تسير عليه»⁽³³⁾ يرسم الكاتب في هذا النص لوحة من سقوط الكويت على أيدي قوَّات الاحتلال إذ أصبحت الطرق مليئة بالآليات العسكرية والمدفعية والمدرعات والعربات حيث تركت على الأرض خطوط مستقيمة حفرت على سواد الشوارع.

المدينة: تبرز دلالة الفضاء الروائي من خلال بنيته المكانية، لذا نرى هذه الثنائية التي تتشكل علينا حين، الأول فيها مرتفع بينما الثاني يأتي عكسه، لأن الأماكن المرتفعة تسمح بوجود الحركة والأماكن المنخفضة أو السفلية غالباً ما تكون ثابتة وجامدة لحيات

لها. في مقطع «علب الكبريت» نشاهد حضورا واسعا لمدن الكويت وشوارعها حيث يصفها بأحداثها في زمن الحرب وما جرّبت من فوضى وهمجية أثناء الحرب الخليبي الثاني: «وقريبا من زوال قرص الشمس نحو غروبها، سمعوا صرير حديد لعجلة تسير على شارع فرعي قريب لموقع وحدتهم، ولكثرة المفاجآت بين تفجير وقع على أحد الوحدات داخل مدينة الأحمدية، يهمس به الملتحقون، أو إحراق عجلة عسكرية مركونة في أحد شوارع مدينة الكويت العاصمة قام به أحد الشبان ولاذ فارا، تكاسل جنود الوحدة عن القفز خارجين من ملاجئهم كما كانوا يفعلون مع كل مفاجأة يأتهم فيها قادم من الخلف، وركنوا للسكينة ضاغطين على بطونهم الخاوية، لكن صفارة يمتلكها رئيس عرفاء الوحدة نغمت فيها أنفاسه، مع صوت رخيم تعودوا أن يسمعه منه دوما وقت توزيع الأرزاق جعل شبح أمل الشبح يتفرق راقصاً أمام أعينهم!»⁽³⁴⁾ في النص صورة واضحة وملموسة لاعتداء الطغاة على مدن كويت حيث لا يسمع المواطنون غير أصوات آليات الحرب والجنود في حالة مزرية جدا لأن ارتفاع الحرارة والجوع والعطش قد أضعف أجسامهم فهم يرتقبون وصول الطعام من قبل موزعو الأرزاق وهو طعام بسيط للغاية لا يلبي طلباتهم وحوائجهم.

في مقطع «العزلة» يقوم الكاتب بتوصيف المدن المزخرفة وكثيرة الأبنية حيث أول ما يظهر منها أمام الأعين هي الشرفات العالية قائلا: «علينا أن نواجه الإطار من أمامه مباشرة، ولا نكمم أنوفنا من غبار تراهها، مادام ضجيج أقدامنا هو من غطى الصور بذلك التراب، فتعالى لنترقى الشرفات العالية وننظف الصورة من أعلاها، تعالي نزيح غبارها إلى أسفل إطارها دون أن ندوسه بأقدامنا ثانية، فإن أردنا أن نجعل الصورة تلمع مجدداً علينا أن نراقبها من زاوية غير الزاوية التي رسمتها فرشاة الفنان منها...»⁽³⁵⁾ يتضح لنا من خلال هذا الخطاب أن عامر حميو كان يهتم ويؤمن لكل ماهو يتبوأ "موقعا جغرافيا وهندسيا متميزا فوق سطح الأرض، ليجسد لنا معلما عاليا ومكانا مرتفعا من خلال موقعه الجغرافي، وما تحت سطحها ودفن فلا أهمية له ولا يضيف للبشرية فائدة بتاتا. وبالتالي هذه الثنائية الضدية، شكلتها شخصيات الرواية، على امتداد المتن الروائي، من خلال أفكارهم وثقافتهم، ولعل هذا هو الحد الفاصل بين الارتفاع والعلو المقصود منه في الرواية.

إن الكاتب يصف لنا في هذا الإطار بناء الفضاء المكاني ومنحه أبعاده الدلالية والمعنوية من خلال الثنائيات الضدية، كما صرح به الكاتب حيث يعتبر المنخفض أو السفلي ذا أهمية كثيرة وهذا التفكير عكس ما يعتقد ويؤمن به كثير من الناس إذ لا يجدون العوالم

المنخفضة تحت سطح الأرض هي عوالم حافلة بأسرار والمعرفة، لكن الكاتب خلافاً لهؤلاء يعتقد أن العوالم السفليّة شهدت تاريخ العصور بجميع تفاصيله. على هذا الأساس، فمكانيته وقيمته تتجاوز المكان الهندسي للمعالم العالية وتتخذ حيزاً كبيراً من المكانة المعنوية والمعرفية، فكلّ ما قدمه الكاتب عامر حميو، في هذا الإطار من الثنائيات المكانية للمنخفض، يتعدى حدود المعالم الهندسية.

يصف الكاتب في مقطع «شرفات عالية» المدينة بأنها أصبحت معركة حربيّة بكلّ آلياتها وتجهيزاتها قائلاً: «هدر صوت محركات الدبابات ثانية، وحجبت سحابة الدخان السوداء منظر آليات تتقدم في عمق المدينة، وبعضها ينحرف على الشوارع الفرعية، وثمة أصوات رصاص تسمع هنا وهناك، لتوشح طمأنينة الناس برعب الحرب وأزيز رصاصها، وارتفع خيط دخان اسطواني من غرب المدينة، فيما راحت طائرات الهليكوبتر تحوم تبعاً في السماء، وتنقض هابطة للأسفل قرب أسطح البنايات العالية، مثل طير جارح رصدت عيناه حركة أسفله، وهوى فاردّاً جناحيه يرفان على شبح طريدته في الأسفل، ثم ما تبرح الطائرات أن ترتفع شاهقة إلى الأعلى لتبقى دائرة حول المكان قليلاً، قبل أن تجنح على الجانب لتختفي، مخلفة ضوضاء تتلاشى وراءها شيئاً فشيئاً»³⁶ في النص نشاهد وضعاً مخيفاً قد سيطر على أجواء المدينة حيث طائرات الهليكوبتر صارت بمثابة سماء المدينة والدخان قد غطى الفضاء كلّها وأصوات الرصاص ملئت الأذان والناس في رعب ووحشة لا توصف؛ فتوظيف المدينة في هذا النص ينم عن مكان موحش لا يجد المواطن فيه أي ألفة أو أنس خلافاً لما يطلبها الإنسان من مثل هذه الأمكنة من الطمأنينة والهدوء وهذا التوظيف العكسي في الحقيقة يعطي القارئ نفس الشيء الذي أراده حميو من توصيف همجية المحتلين وشدة بطشهم في المدينة.

في مقطع «برج» ينظر الكاتب عامر حميو إلى المدينة من وجهة نظر أخرى إذ يصفها بزخرفتها وتقنياتها وكلّ ما يجعل قلب الإنسان توّاقاً إليها: «ارتفع البرج شاهقاً في سماء نهاية صيف مدينة الكويت، ولمع فوقه بياض سيارة السوبر لموديل السنة القادمة الذي سيدخل البلاد. فقال الضابط يسأل جنوده: من منكم له القدرة على أن ينزل لي تلك السوبر من فوق البرج؟ قال نائب ضابط يرافقه: - أنا يا سيدي.»³⁷ في النص دلالات مميّزة تنبئ عن

الحدثة والتقنية المستعملة من قبل السياسيين في الكويت حيث يستخدمون بروج عالية وسيارات فخمة ومجللة لا يستطيع شرائها إلا الأغنياء.

في مقطع "أعلاف خيول المراهنة" يقوم عامر حميو بتوصيف إحدى مدن الكويت وما فيها من ذخائر نفطية حيث جعلتها من حيث الغناء والثراء تنافس العاصمات الكبرى في العالم قائلاً: «الأحمدي مدينة عائمة على حقل البرقان وهو أكبر حقل نفط في العالم، وفيها مقر شركة نفط الكويت، وإن كانت لندن تشتهر بضخامة مجاري صرفها الصحي، وباريس تشتهر ببرج إيفل، فإن الأحمدي كأي ميناء نفطي كبير تكافتت خطوط نقل النفط تحتها، كأنها أياد عشيرة تتشابك مجتمعة لتحضن أذرعها شيخها وتعزه، ليغدو ميناؤها البحري مرسى للسفن الكبيرة من شتى أنحاء المعمورة... فأخذت نصيباً كاملاً من تواجد وحدات عسكرية كوّمت فيها وحولها دون تنسيق، وغدا الجوع يعصر الجنود فيها قبل سكانها، وأصبحت أسواقها فارغة من المواد، وسرى همس بين الجنود أن أصحاب الأسواق راحوا يفرغون محتويات محلاتها ويوزعوها على سكان المدينة، مثل باقي المدن الكويتية الأخرى.»⁽³⁸⁾ ينقل الكاتب من خلال النص معلومات تامة وواقعية عن مدينة الأحمدي من حيث موقعها الجغرافي ومكانتها الاقتصادية كما تعرف بحقولها النفطية الكبرى فقام الكاتب بمقارنتها مع مدن كبيرة ومتطورة في العالم كاللندن وباريس وما شابه ذلك فأصبحت مطمح نظر جميع العمال والموظفين والمهندسين وأصحاب التقنية والتجارة والخ.... وأما الشيء الملفت للنظر في هذا النص هو اتحاد المواطنين في المدينة وصمودهم غير المباشر أمام المستعمر حيث يوزع أصحاب الأسواق كل بضائعهم بين الناس صموداً أمام العدو واجتناباً من انتشار الجوع بين مواطنيهم وضعفهم أمام المستعمر، فأصبح المدينة رغم احتلالها بيد العدو إلى مكان أليف في هذا النص.

وصف عامر حميو في مقطع «الحصيرة» صورة أخرى من المدينة حيث تنير حس الكآبة والألم والإشمئزاز لدى المخاطب؛ لأنه يرى المدينة قد تحولت إلى ساحة حربية يغطيها الدخان من كل جانب ولا يسمع منها إلا صوت الآليات الحربية قائلاً:

«أمير سواق الآليات بالتوقف على الطريق العام خارج مدينة الوفرة، وبدلون إسفلت الشارع ممتداً مثل أفعى بين الكثبان الرملية على جانبيه، فتقاطرت الآليات كأنها لعب صفحتها يد طفل بالتعاقب على الطريق، تتقدمها سيارة (الكاز 66) للعريف السائق

واقفة خلف دبابة تركت وسط الطريق مع سائق راح يعالج عطشها الذي أوقفها، وترجل الجنود مجموعات وأفراداً يتجههرون لائذين في ظلال العربات.³⁹ في النص المذكور يقوم الكاتب بوصف مدينة الوفرة موضحاً طرقها وموقعها من حيث الاحتلال وحضور قوّات الاحتلال وآلياتهم الحربيّة فيها. في هذه الرواية يرى الروائي المدينة قد تحوّلت إلى ساحة حربيّة يغطيها الدخان من كل جانب ولا يسمع منها إلا صوت الآليات الحربيّة.

٣-٣ المكان والرجوع إلى الأصل العربي في الرواية

عامر حميو يشير في الرواية إلى أشياء تربط عالمه الحديث بأصله العربي مع كل ما فيها من سماته المتميزة المرتبطة بالثقافة العربية، سواء كانت من الشخصيات المشهورة أم اللهجة العربية أم غير ذلك من السمات كذكر أمّ كلثوم في مقطع «حقول الألغام» عبر هذا الموقع النصي للرواية قائلاً: «لم يصدق أذنيه وهو يستمع لصوت واضح تغني فيه أم كلثوم (لسه فاكِر)، وتطابقت خيالات فكره وما يوحى فيه كلام المحللين، مع ما تغنيه السيدة، وتخيلها تقف فوق المسرح الستيني متجسدة فيه لتخاطب التخطيط العسكري لبلده قائلة: (وأنت متبني بحيرتي وانشغالي/ قل لي إيه قصدك معايا/ بعد ما عرفنا النهاية).»⁴⁰ من الملفت للنظر أن الكاتب عامر حميو يلهم القارئ بذكر أو التلميح عن مسميات الشخصيات التاريخية، عبر الحوارات والمونولوج الداخلي للشخصيات ويستخدمها كعناصر رمزية ودلالة مكانية من تاريخ العالم وأدبه العالي المستوى. فلشخصية أم كلثوم في النص رمزية تنص عن فقدان هوية شخصية البطل الضائع والمتأرجح ما بين عالم الأحياء وعالم الأموات، فيصف إحدى المواقف التي مشحونة بهذه الرمزية في مقطع «اللجنة العسكرية التأديبية» كالتالي قائلاً: «وعلى ما أذكر أنني تأبطت الدفتر، فرأني الضابط الأمريكي لحظتها معتقداً أنني أسلب الموتى أشياءهم... وأني إذ أطلب الآن أن ترفق شهادتي هذه مع محضر لجنتكم، فإنني أطالب بالنسخة الأصلية من الدفتر الصغير للجندي العراقي، لأنفذ له وصيته، فأعرفنا تقول إنَّ من المعيب حقاً أن لا تنفذ وصية الموتى، فقد قلت له وهو يلفظ عبارة (أنا أموت)، وقبل أن يستل الضابط الأمريكي الدفتر من تحت أبطي، واعذروني هنا أنني سأستعير لهجة بلدي المحلية كما تلفظتها له، إذ قلت: (اصبر يا راجل، متستعجلش، الدنيا لسه بخير، انت مش حتموت، انت حتعيش).»⁴¹ من

خلال النص المذكور يشير الكاتب إلى التعامل الأمريكيين مع جندي عراقي باسم الدفاع عن حقوق البشر ناسين ما تركوا من آثار خربة في جميع البلدان التي قد احتلوها وسفكوا دماء مواطنيها واللهجة العراقية المستخدمة تدلّ على أن العراقيين مازالوا محتفظين بأصالتهم وهويتهم فلا يخضعون لما تسنّ لهم الدول الأروبية عامة وأمريكا خاصة.

4. خاتمة:

هذه الدراسة اختصت بالبحث عن المكان في روايته "رمال حارة جدا" المكان يلعب دوراً مهماً في أحداث الرواية، فهو لم يعد الخلفية التي تقع فيها الأحداث، وإنما الإطار الحيوي الذي تقع فيه الأحداث، ويبرز الموقع في دوره المهم في تشكيل محتوى الرواية من خلال تنظيم الأحداث وتطورها. يوجد في الرواية أنواع متعددة من الأماكن التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالشخصيات والأحداث والأفعال ولكل مكان طبيعته الخاصة في تشكيل الجو العام للرواية، حيث اتسمت الأماكن بالتواجد والحضور في عملية السرد، ففي المقابل هناك عدد من الأماكن التي لم تلعب دوراً في مجرى الأحداث وتم رؤيتها بشكل مباشر في الرواية. لقد استخدم عامر حميو التعددية المكانية في ثنائية الحضور والغياب، حيث استخدم مختلف الأماكن في روايته، كل هذه الأماكن وضعت مسارات تخيلية وواقعية حول طبيعة الشخصيات وأفعالها فكشفت التعددية المكانية عن مضامينها المتنوعة الاجتماعية والسياسية والثقافية، حيث رسمت مشهدية سردية لواقع مضموني جديد يتلائم مع الفهم الجديد للإنسان ومساراته المتنوعة.

5. الهوامش:

¹ البحراوي، حسن. (2009م)، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافي العرب: 33

² الجبوري، قصي جاسم (٢٠١٦م) المكان في رواية تحسين كرمياني، جامعة آل البيت، كلية الآداب، قسم اللغة العربية. رسالة ماجستير: (٥)

³ ابن منظور، جمال الدين، (1414هـ) لسان العرب، بيروت، دار صادر: مادة (ك و ن)

المصدر نفسه: مادة (م ك ن)⁴

⁵ الزبيدي، المرتضى (١٩٩٤م) تاج العروس في شرح القاموس، بيروت، لبنان: دار الفكر: 94/20

⁶ ابن منظور، ١٤١٤: مادة مكن؛ الفيروزآبادي، محمد يعقوب، (1995م)، القاموس المحيط، بيروت، دار

الكتب العربية 1594

المصدر نفسه⁷

- ⁸ ديفيز، بول (١٩٩٨ م) المفهوم الحديث للمكان و الزمان، ترجمة: د. السيد عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٢
- ⁹ اكبرى موسى آبادى، مريم، & خاقانى اصفهاني، محمد. (١٤٢٣ هـ). دلالة المكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال. إضاءات نقدية في الأدبين العربي و الفارسي: ١
- طالب، أحمد (2004 م) الف، «السرد القصصي وجماليات المكان». مجلة الموقف الأدبي: ٥٠ (5)¹⁰
- ¹¹ أبو عين، عبدالله، (2005 م) جماليات المكان في النقد العربي المعاصر، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية: ١٢٣
- كليب، سعد الدين، (2003 م)، جمالية المكان آليات التبدلي المكاني في الشعر، دمشق: ٣¹²
- ¹³ عادل سماح، ٢٠١٨، موقع الانترنت: <https://kitabab.com/cultural>
- باشلار، غاستون (1984 م)، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسي، بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر: ٦¹⁴
- زايد، على عشري، (2003 م)، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، القاهرة، مكتبة الآداب: ٢٧٥¹⁵
- جنيت، جبار (1997 م)، خطاب الحكاية (بحث في المنهج). ترجمة محمد معتصم. ط ٢. د.م: المجلس الاعلى للثقافة: ٧٥¹⁶
- عنبتاوي، دلال حسين، (2011 م)، المكان بين الرؤيا والتشكيل في شعر ابراهيم نصر الله، عمان، ناشرون وموزعون: ٤٧¹⁷
- بوغزة، محمد، (2010 م)، تحميل النص السردي، الجزائر، منشورات الاختلاف: ٩٩¹⁸
- ¹⁹ النصير، ياسين (2010 م)، الرواية والمكان: دراسة المكان الروائي. ط ٢. دمشق: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع: ٥٦
- راجع: باشلار، ١٩٨٤: 38 وبعد²⁰
- حميو، عامر (2017 م)، رمال حارة جداً، بغداد: دار ميزوبوتاميا للنشر والتوزيع: ٢٢²¹
- حميو، ٢٠١٧: ٣٦²²
- حميو، ٢٠١٧: ١٩²³
- النصير، ٢٠١٠: ٧٤²⁴
- حميو، ٢٠١٧: ٨٤ (٢٥)²⁵
- نفس المصدر: ٨٥²⁶
- المصدر السابق: ٢١²⁷
- نفس المصدر: ٢٤ و ٢٥²⁸
- نفس المصدر: ٢٥²⁹
- البحراوي، ٢٠٠٩: ٣٥³⁰

حميو، ٢٠١٧: ١٩³¹

المصدر السابق: ٣³²

نفس المصدر: ٤³³

حميو، ٢٠١٧: ٧٨ و ٧٩³⁴

نفس المصدر: ٨³⁵

المصدر السابق: ٣ و ٤³⁶

حميو، ٢٠١٧: ٢٦³⁷

نفس المصدر: ٨٢³⁸

المصدر السابق: ٤٠³⁹

حميو، ٢٠١٧: ١١٨⁴⁰

- المصدر السابق: ١٣١⁴¹

